

التأويل في النحو العربي

د. إيمان عمر محمد جادالله*

مقدمة:

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لو لاه من المهتدين وعلما ما لم نكن نعلم والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين والسلام على آله الأخيار وعلى أصحابه المكرمين.

وبعد: نشأ النحو العربي لصون اللسان العربي من الفساد فنزول القرآن من العوامل الأساسية لنشأة النحو ولذلك لحفظه من اللحن وحفظ اللغة من الفساد واللحن.

وفي جمعهم وتدوينهم للغة العربية جمعوا أجود اللهجات وفي استنباطهم لقواعد هذه اللغة فقاموا باستنباط الأحكام اللغوية أصولها وفرعها كي تسلم هذه اللغة.

وفي مباحث النحو مثل السماع والقياس واستصحاب الحال والتأويل والتأويل وغيرها؛ والتأويل من المصطلحات النحوية والفقهية وفي علوم القرآن، ولكن لم يعرف رجال النحو تعريفاً دقيقاً للنحو بعد عصر المتأخرين.

فمن أمثلة التأويل في أبواب النحو المختلفة:

1. في باب الابتداء، يتأولون أن في خير "زيد في الدار" ما يستتر ويقدر بالكون والاستقرار.

* الأستاذ المساعد - جامعة الملك خالد - كلية العلوم والآداب - قسم اللغة العربية.

2. في باب الحال، يتأولون "وحده" في نحو: "جاء زيد وحده" ب" منفردا" على أن الحال لا يكون إلا نكرة، فالمعرفة منه مؤول. إذن أهمية البحث تكمن في الكشف عن هذا الموضوع المتناثر في مواضع كثيرة في أبواب النحو.

وجاء هذا البحث في هذه الصورة:

ف عنوان هذا البحث: التأويل النحو العربي لاشك أن التأويل وسيلة من وسائل تعديد القواعد وانتاجها وقد جرى استخدامه في حقول علمية مختلفة. أهداف البحث:

يسعى هذا البحث لإبراز عدة أهداف تجسدت فيما يلي:

1. بيان مفهوم التأويل في اصطلاح النحاة.
 2. توضيح نشأة التأويل والحاجة الباعثة إليه ومسمياته ونماذجه.
- مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة هذا البحث في الأسئلة التالية:

1. ما التأويل وما مفهومه ؟
2. كيف نشأ التأويل وما الحاجة التي دعت إليه ؟
3. هل للتأويل شروط وأنواع ومسميات ؟
4. ما نماذج التأويل النحوي ؟

منهج البحث:

اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي كما أفادت من بقية مناهج البحث عند ضرورة الحاجة إليها.

هيكل البحث:

جاء هيكل هذا البحث في مقدمه ومبحثين وخاتمة وبيان هيكله فيما يلي:
المبحث الأول وعنوانه: التأويل ومفهومه ونشأته.
المبحث الثاني وعنوانه: مسميات التأويل عند النحاة.
الخاتمة وأهم النتائج

التأويل

المبحث الأول: مفهوم التأويل في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف التأويل في اللغة

من مادة "أول" تشتق عدة كلمات (1).

1. آل: (أول) تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفاء من باب نصرَ يَنْصِرُ (فَعَلَ يَفْعَلُ) تقول آل الشيء يؤول، بمعنى رجع والمصدر أول ومأل.

2. أول: بتضعيف الواو، أي عين الفعل، فلم تقلب ألفاً لتضعيفها بمعنى أرجع، تعدى بالتضعيف، تقول أول الشيء بمعنى أرجعه إلي ما كان عليه. قال تعالى {ذلك خير وأحسن تأويلاً} (2) أي أحسن عاقبة ومالاً ومرجعاً. إلا أن معجم المجمع فسر الآية هنا بأن التأويل بمعنى التفسير ولكن السياق لا يلائم هنا التفسير والصواب أنه بمعنى المرجع والعاقبة ولو أن الأحاديث وردت فيها بمعنى التفسير وهذا معنى آخر يرد على هذا الفعل.

3. أول: بتضعيف الواو أيضاً، فسر تقول: أول الكلام، بمعنى فسره وبين المراد منه، قال تعالى {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} (3) وكما هو في الأحاديث {فما أولت}. أي فسرت وبينت.

(1) د. محمد حسين أبو الفتوح، معجم الفاظ الحديث الشريف في صحيح البخاري، مكتبة

لبنان، بيروت، 1993، المجلد الأول، ص 256 - 257.

(2) سورة النساء، الآية (59)

(3) آل عمران، الآية (7)

4. آل: اسم بمعنى الأهل، وآل الرجل أهله وأتباعه، قال تعالى { وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ }⁽¹⁾ بمعنى أتباعه وقومه، وآل كل نبي أتباعه وقومه. وهنا يجوز أن تكون الالف منقلبة عن واو، وإما أن تكون منقلبة عن هاء في أهل وعلى هذا يجوز في آل عند التصغير: أوَيْل، أو أهَيْل.

5. أولُ: اسم ضد الآخر، بكسر ومؤنثه (أولى) قال تعالى { إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى }⁽²⁾ وجمعه أول،، على وزن¹ فعل أو أوائل.

6. والأول: اسم من أسماء الله الحسنى قال تعالى { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ }⁽³⁾ الآلة وهي الجنازة أو سرير الميت، والعلم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "تستعمل آلة الدين في طلب الدنيا" يعني العلم⁽⁴⁾.

والتأويل مصدر الفعل الرباعي المضعف عينه (أول) من الفعل

الثلاثي (آل).

7- آلة، مفرد آل وآلات وهي الأداة وقد تكون آلة واحدة وجمعاً وتطلق على معاني متعددة منها: بمعنى رجع وعاد، وهو بتضعيف عين فعله يأتي

(1) سورة البقرة، الآية (49)

(2) سورة الأعلى، الآية (18)

(3) سورة الحديد، الآية (3)

(4) د. محمد حسين أبو الفتوح، معجم ألفاظ الحديث الشريف في صحيح البخاري، مكتبة لبنان،

بيروت، ن 1993، المجلد الأول، ص 256 - 257

بمعنى تدبير الكلام وتقديره وتفسيره، ويقصد به الكلام الذي يحتمل معاني مختلفة منها: (2)

1- الرجوع والعاقبة والجزاء:

ذهب صاحب العين إلى أن: "وَأَلْ يَأُلُّ لَا يَطْرُدُ فِي سَعَةِ الْمَعَانِي أَطْرَادَ آلٍ يَأُولُ إِلَيْهِ، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ تَقُولُ طَبَخْتَ النَّبِيذَ وَالِدَوَاءَ، فَآلٌ إِلَى قَدْرٍ كَذَا. وَكَذَا إِلَى التَّلْثِ أَوْ الرَّبْعِ: أَي رَجَعَ.

وورد في لسان العرب أن: (أول الشيء: رجعه) (3)

ذهب عدد من المفسرين إلى أن معنى: {أحسن تأويلاً} في قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً} (4) معناه أجمل عاقبة أو جزاء وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه.

2- التفسير والبيان:

ذهب الخليل بن أحمد إلى أن التأويل والتأول: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصلح إلا ببيان غير لفظه وأورد في كتابه:
نحن ضربناكم على تنزيله *** فالיום نضربكم على تأويله (5)

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ن 2003، ج 1، ص، 100 مادة أول

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 39، مرجع سابق

(4) سورة النساء، الآية (59)

(5) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج 1، ص 100 مادة أول

وورد في لسان العرب: "أوله وتأوله: فسرهُ".⁽⁶⁾ وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }.⁽⁷⁾

فالتأويل في هذا النص بمعنى التفسير والبيان . وجاء في الكشاف: "أول الشيء: أرجعه وتأول الكلام: فسرهُ"⁽¹⁾

3- التدبر والتقدير: أشار إلى هذا المعنى صاحب اللسان بقوله: "وأول الكلام وتأوله: دبره"

وقدره".⁽²⁾

ونكره أيضا صاحب القاموس بقوله: "وأول الكلام تأويلاً وتأوله: دبره وقدره".⁽³⁾

4- الجمع والإصلاح: جاء في اللسان "وآل مآلة: أي أصلحه وساسه، والإتيال: الإصلاح والسياسة" وورد في اللسان أيضا "قال: أبو منصور: يقال ألت الشيء وأوله: إذا جمعه وأصلحه... وقال بعض العرب: أول الله عليك"

(6) سابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 39، مرجع سابق

(7) سورة آل عمران، الآية (7)

(1) الزمخشري، الكشاف، تحقيق صلاح شلهوب، دار أسامة، عمان الاردن، 2004، ص 35

(2) ابن منظور، لسان العرب، ص 39، مرجع سابق

(3) الامام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الفيروزابادي الشيرازي الشافعي،

القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت. ط 1، ن 1999، ج 1، ص 1244، مادة أول

شمك ويقال في الدعاء للمضل: أول الله عليك ؛ أي ردّ عليك ضالتك و جمعها لك⁽⁴⁾

5- التحري والطلب: قال ابن منظور: "تأولت في فلان الأجر: إذا تحريته وطلبته"⁽⁵⁾

6- نوع من النباتات: جاء في القاموس "أن أحد معاني التأويل بقلّة طيبة الريح"⁽⁶⁾ وهي بقلّة ثمرتها في قرون كقرون الكباش وهي شبيهة بالقفعاء، ورقها يشبه ورق الآس، وهي نبت يعتلفه الحمار، واحدته تأويلة.⁽⁷⁾

7- موضع في بلاد هوازن: ذكر البكري الأندلسي: أن التأويل موضع في بلاد هوازن.⁽⁸⁾

8- التغيير يقال آل اللين: أي خسر، وآل الجسم: إذا نحف، وإذا في التغيير معنى الرجوع وبهذا يدخل في المعنى الأول.⁽⁹⁾

وآل قريب من معنى الحال أي تحول من حال إلى حال وأكثر ما يقال في استحال إلا أن (حال) و(استحال) يختص بما تحول إلى غير ناشئه عن الحال الأولى ؛ وآل تكون حالة ثانية ناشئة عن الأولى كقولك: "ربما

(4) ابن منظور، لسان العرب، ص 39—40، مرجع سابق

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 39، مرجع سابق

(6) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج 1، ص 1244، مادة (أول)، مرجع سابق

(7) ابن منظور، ج 1، ص 46، مرجع سابق

(8) البكري الأندلسي / معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا،

لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945، ج 1، ص 300

(9) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن، م 1، تحقيق عبد الرازق

المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ن 2001، ط 1، ج 1، ص 518

تؤول البدعة إلى كفر" أو ناشئة عما جعل "آل" غاية له ؛ كقولهم "طبخ الشراب حتى آل إلى قدر كذا وكذا".⁽¹⁰⁾

9 - آل، ساس وقاد:

تقول آل الملك رعيته، بمعنى ساسهم وأحسن سياستهم، وولي أمرهم . وتقول: ألت الإبل بمعنى سقتها. (1)

هذه هي معاني الكلمة ودلالاتها اللغوية بمعناها الأصلي، كما جاءت في المعاجم، أما المعنى الاصطلاحي لفظ التأويل فيمكن إيضاحه من خلال مايلي:

كثيراً ما يفترن التأويل في علوم القرآن بالتفسير. وقد اختلف علماء هذا الفن في تحديد المراد من هذا المصطلح إلى مذاهب، أهمها:

1- التفسير والتأويل وهما مترادفان يدلان على معنى واحد هو بيان كتاب الله عزّ وجل وإيضاحه.

2- التأويل مصطلح خاص ببيان معاني الكتب الإلهية وفهمها، والتفسير أعمّ، إذ يشمل بيان المعنى مطلقاً، سواء كان في الكتب الإلهية أم غيرها، وهو يغلب في المفردات، بينما يغلب التأويل في الجمل والمركبات.

3- التفسير هو بيان معنى كتاب الله عزّ وجلّ من المنقول في القرآن الكريم نفسه والسنة الشريفة، والتأويل هو ما استنبطه العلماء من

(10) 201 25.6 http://ar.wikisource.org. ورقة عمل بعنوان حقيقة التأويل لعبد

الرحمن يحيى المعلمي اليماني

(1) محمد حسين / معجم الفاظ الحديث / ص 257

معاني القرآن للكريم بالاجتهاد، فال تفسير من باب الرواية، والتأويل من باب الدراية. وقد ورد التأويل في القرآن الكريم بمعنيين:

الأول: مرادف لمصطلح التفسير كقوله تعالى: {وَيُعَلِّمُكَ مِنَ التَّوِيلِ الْأَحَادِيثِ} (1).

الثاني: بمعنى ما يؤول إليه الأمر، وهو وقوع المخبر به، فقد وعد الله عزّ وجلّ بوقوع الساعة وتكوير الشمس ونحوها، فتأويلها وقوع ذلك فعلاً، كما في قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} (2)، أي هل ينظرون إلا وقوع ما أخبرتهم به من المغيبات.

ونجد ابن الجوزي يقول: "التأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ" (3).

ويقول ابن الأثير: "أنه نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ" (4).

ونقل الذبيدي عن ابن الكمال قوله: "التأويل صرف الآية عن معناها إلى معنى عن معناها إلى معنى تحتمله، إذا كان المعنى المحتمل الذي تصرف إليه موافقاً للكتاب والسنة" (5).

(1) سورة يوسف / الآية (6)

(2) سورة الأعراف / الآية (53)

(3) الذبيدي، تاج العروس، ج 7، ص 215.

(4) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج 1، ص 280.

(5) الذبيدي، تاج العروس، ج 7، ص 214، مرجع سابق.

ونجد السبكي قد عرفه وقال: "التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح، أو ما يظن دليلاً فاسداً لشيء فلعجب لا تأويل" (1). (4)

ولنا أن نقول التأويل هو: إخراج اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير إخلال لكلام العرب في التجوز في تسمية الشيء بشبيهه.

ومن هذه التعريفات الاصطلاحية المتعددة للفظ التأويل في عدد من العلوم يمكن أن نستخلص الأتي:

1. مدى تطور التعريف وما مر به من مراحل النضج والتجديد والحذف والإضافة عند جميع العلماء.
2. اختلاف العلماء في مفهوم التأويل ومدى تشدد بعضهم وتوسط البعض الآخر فيه.

ونجد ابن العربي قد قسم الخائضين في التأويل إلى خمس فرق (2):

1. الفرقة الأولى: وهم الذين وقفوا مع المنقول وصدقوا بما جاء به من النقل تفصيلاً وتأصيلاً وإذا شوفهوا بإظهار تناقض في ظاهر المنقول وكلفوا تأويلاً، امتنعوا وقالوا: بأن الله قادر على كل شيء.
2. الفرقة الثانية: وهم الذين وقفوا على النقيض من أصحاب الفرقة الأولى، فجردوا النظر في المعقول ولم يكثرثوا بالمنقول، فإذا سمعوا في

(1) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ط2، ج2، ص46.

(2) ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري، قانون التأويل، تح محمد السليمان، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1986، ص246-247.

الشرع ما يوافقهم قبلوه،، وإن سمعوا ما يخالف عقولهم ما زعموا أن ذلك صوره الأنبياء للعوام على سبيل التمثيل، فغلوا في المعقول حتى كفروا، إذ نسبوا إلى الأنبياء الكذب لأجل المصلحة.

3. الفرقة الثالثة: وهم الذين جعلوا المعقول أصلاً فطال بحثهم عنه، فضعفت عنايتهم بالمنقول، فلما سمعوا من الظواهر المخالفة للمعقول جحدوه، وأنكروه وكذبوا راويه، إلا ما يتواتر عندهم كالقرآن، ولا يخفى ما في هذا الرأي من خطر في رد الأحاديث الصحيحة.

4. الفرقة الرابعة: وهم الذين جعلوا المنقول أصلاً وطالت ممارستهم له فاجتمعت لهم الظواهر الكثيرة، ولما لم يفصلوا في المعقول ولم يخوضوا فيه لم تتبين لهم المجالات العقلية.

5. الفرقة الخامسة: وهم الذين توسطوا في البحث فجمعوا بين المعقول والمنقول، وجعلوا كل واحد منهما أصلاً مستقلاً، وأنكروا أن يتعارض العقل والنقل، وذلك لأن من كذب العقل فقد كذب الشرع إذ بالعقل عرف صدق الشرع، ولولا صدق العقل لما عرف الفرق بين النبي والمنتبي، والصادق والكاذب، وكيف يكذب العقل بالشرع، وما ثبت الشرع إلا بالفعل⁽¹⁾.

كانت هذه الفرق التي خاضت في التأويل وتحدثت فيه كثيراً وتباينت آرائهم بين متشدد ومتوسط .

ونجد د. عبد الوهاب عبدالسلام طويلة يقول في حكم العمل باللفظ المؤول: "وحكم المؤول وجوب العمل به مع احتمال الخطأ في التأويل؛ لأن

(1) ابن العربي، قانون التأويل، ص248، مرجع سابق.

التأويل لا يكون إلا بدليل ظني، وهو يستلزم احتمال الغلط لأن المجتهد يخطئ ويصيب، فإن ظهر الغلط وجب الرجوع عنه⁽¹⁾.

التأويل في علم العربية: (2)

التأويل عند النحاة: هو صرف الظواهر اللغوية إلى غير الظاهر للتوفيق بين أساليب اللغة وقواعد النحو. ومبعث ذلك كما يتضح من التعريف هو التعارض بين الأسلوب اللغوي وعلم النحو، فهو أشبه بتأويل المشكل عند المحدثين. ووصولاً للتأويل الصحيح فقد ظهر مفهوم «التقدير» الذي يمهد السبيل للحالة التوفيقية بين التعارض اللغوي والنحوي، وذلك بافتراض محذوف هو العامل أو المعمول أو غير ذلك. ومن أنواع التأويل الواردة في فروع اللغة العربية ما يلي:

1. التأويل الأدبي: هو العدول عن ظاهر النص للكشف عن المعاني الإضافية والدلالات البلاغية للنصوص الأدبية، فهو نوع من التأويل يتعلق بالأسلوب والسياق والسباق واللاحق، لا المفردات والألفاظ. والوصول إلى هذه المعاني الرفيعة يحتاج من المؤول إلى نوع متميز من الذوق الأدبي.
- 2- التأويل والمجاز: ويشتركان في أنهما نقل اللفظ من حالة دلالية إلى حالة دلالية أخرى. ويتميز المجاز بأنه نقل من حالة الوضع اللغوي التي

(1) عبد الوهاب عبدالسلام طويلة، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ط2، ص85.

(2) http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=160423&m=1

تسمى الحقيقة إلى دلالة غير حقيقية. ولا يشترط في التأويل أن يكون النقل من الحقيقة.

ومع ذلك فقد كان أوائل اللغويين يستعملون المجاز مرادفاً للتأويل، ومن العلماء من أنكر وجود المجاز هروباً من ظاهرة التأويل التي لا يؤمن بها في مجال العقيدة، كداود بن علي الظاهري (202-270هـ) وبعض أصحاب الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ).

التأويل عند المتأخرين والمعاصرين:

جاء في كتاب مباحث القرآن، التأويل في الاصطلاح له معنيان:

1. تأويل الكلام:

بمعنى ما أوله إليه المتكلم أو ما يؤول إليه الكلام ويرجع، والكلام إنما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود وهو نوعان: إنشاء، وإخبار ومن الإنشاء الأمر⁽¹⁾

فتأويل الامر: هو الفعل المأمور به، ومن ذلك ما روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت) كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لي، يتأول القرآن).⁽²⁾ تعنى قوله تعالى: (فسبح باسم ربك واستغفره إنه كان تواباً).⁽³⁾

2. تأويل الأخبار:

(1) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، ن 2007، ص 317

318-

(2) رواه البخاري

(3) سورة النصر، الآية 3

وهو عين المخبر إذا وقع كقوله تعالى: "ولقد جنناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون * هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل". (1)

وتأويل الكلام أي تفسيره وبيان معناه وهو ما يعنيه الطبري في تفسيره بقوله: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا" ويقول "اختلف أهل التأويل في الآية فإن مراده التفسير". (2)

التأويل:

"هو رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول" هذا ما قاله الجويني. (3)

وقال محمد بن أحمد بن رشد في التأويل:

"التأويل إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز". (4)

وكما أن التأويل في عرف المتأخرين عند مناع القطان:

"هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح بدليل يقترن به". (5)

(1) سورة الأعراف، الآية 52-53

(2) مناع القطان، ص 318، مرجع سابق

(3) أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، البرهان في أصول الفقه، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط 4، ن 1997، ج 1، ص 1993

(4) محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، دار الكتب

العلمية، القاهرة، 1935، ص 16

(5) مناع القطان، ص 318، مرجع سابق

نشأة التأويل:

كلمة تأويل يُظنُّ أنها لم تستخدم إلا في عصر الإسلام ولكنني لا أتفق وهذا الظن إذ أن هناك شاهداً على استخدام الكلمة وهو ما ذكره ابن هشام في السيرة "أن ربيعة بن نصر ملك اليمن رأى رؤية هالته فدعى الكهنة وقال لهم رأيت رؤيا هالتي فأخبروني بتأويلها"⁽¹⁾

ولقد وردت كلمة تأويل في هذه القصة أكثر من ثلاث مرات وهي قصة حدثت قبل الإسلام بأكثر من مائة عام .

أما ذكرها في القرآن فقد وردت كلمة تأويل كثيراً في سورة يوسف وكذلك في سورة الكهف ولفظة تأويله في آل عمران والأعراف ويونس ويوسف.⁽²⁾

ولكن عندما جاء الإسلام ونزل القرآن والقرآن ملئ بالقصص التي بها الوعد الحق للذين آمنوا وكذلك للكافرين والعظة والعبرة كان في هذه القصص ترويح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن هذه القصص قصة سيدنا يوسف التي كثرت فيها كلمة تأويل وغيرها من القصص ولقد وجدت رواجاً في عصر الإسلام أكثر من غيره وذلك أن التأويل في القرآن وفي سوره يدل على معاني كثيرة منها) في سورة يوسف يدل على الإخبار بالأمر الذي سيقع في المآل من تحقيق الرؤيا وفي سورة الأعراف يدل على تصديق الوعد وفي سورة يونس يدل بما يؤول الأمر من ظهور

(1) أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق جمل ثابت وآخرون، السيرة النبوية، م 1،

دار الحديث، القاهرة، ط 2، 1999، ص 240

(2) محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الحديث، القاهرة، 1987، ص 1

صدقه وفي الإسراء يدل على المآل وكذلك في النساء ويدل في سورة الكهف على الإنباء بأمر غيبة ستقع في المآل ويعني ذلك أن كلمة تأويل انتشرت في الإسلام وتعني المآل والمرجع والمصير.

عمل التأويل وشروطه والحاجة إليه:

عمل التأويل الأساسي يكون في الجمل والمعاني عكس التفسير الذي يتعلق بشرح الألفاظ والمفردات كما ورد في الإتيان في علوم القرآن الذي ورد فيه قول الراغب الأصفهاني: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها".⁽¹⁾

والتأويل: توجيه لفظ يحتمل معاني مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة وكذلك تفسير باطن اللفظ، وهو مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد.⁽²⁾

والتأويل يستعمل مرة عاماً، ومرة خاصاً، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري - عز وجل - خاصة. والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة، وتصديق الحق أخرى، وإما في لفظ مشترك بين معانٍ مختلفة، نحو لفظ (وَجَدَ) المستعمل في الجِدَّة، والوَجْد، والوجود.⁽³⁾ والتأويل بالدراية وقال أبو نصر القشيري "مما يتعلق بالتأويل

(1) الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق

فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 2000، ج 1، ص 426

(2) المرجع نفسه، ص 427

(3) المرجع نفسه، ص 427

الاستنباط".⁽¹⁾ إنما يستعمل إذا علق بما يتعلق من الألفاظ منطوقاً ومفهوماً ولم ينكر أصل التأويل ذو مذهب وإنما الخلاف في التفاصيل . فالمعتمد في الرد على المخالف إجماع من سبق فإن المستدلين بالظواهر كانوا يؤولونها في مضان التأويل وهذا معلوم إضطراراً كما علم أصل من الاستدلال .

ثم ثبت جواز التأويل وأن أصل التأويل مقبول فيفتح بعد ذلك الكلام في تفاصيل التأويل.⁽²⁾ إذن عمل التأويل أصلاً في الجملة وليس في المفردة المنفصلة فإن كانت الجملة مترابطة كوحدة موضوعية لزم أن يكون التأويل مترابطاً لا يخرج عن السياق العام للنص . والله أعلم

ولقد دعا الرسول (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".⁽³⁾

الحاجة إلى التأويل في اللغة العربية:

لعل الحاجة إليه تكمن في حقيقة اللغة العربية وخصائصها، فهي تمتلك خصائص لا توجد في أغلب اللغات وأول هذه تعلق المعنى بعدد من الكلمات وكذلك الكلمة تعلقها بعدد من المعاني وكذلك أهتم به الناطقون بالعربية من القدماء لأنه يوجد مفردات جديدة لكل ما يحدث حولهم. فالسير عندهم غير المشي والجلوس لا ينطبق على القعود وكان لولع العرب

(1) المرجع نفسه، ص 427

(2) أبو المعالي عبد الملك، ص 195، مرجع سابق

(3) رواه البخاري

بالبلاغة أكبر الأثر في تفجير طاقات العربية وإخراج فنونها المختلفة من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية... الخ والتأويل هو فن مجيد يضفي على المعنى اللغوي روحاً وعلى السامع اللبيب طرباً لايدانيه طرب واللغة العربية بقواعدها وبلاغتها وبكل خصائصها هي لغة جمالية ولغة تهتم بالشكل والمعنى او المضمون اهتماما يفوق أي لغة أخرى. شروط التأويل (1) (1):

اشترط العلماء في مجال التفسير والعقيدة والنحو شروطاً عدة تضبط التأويل وتوجهه منها:

1. أن يكون من يقوم بالتأويل أهلاً للاجتهد ؛ لأن التأويل نوع من أنواع الاجتهاد.
2. أن يكون اللفظ أو النص قابلاً للتأويل، بأن تكون دلالته على الحكم ظنية، أي ظاهراً في المعنى المصروف عنه.
3. أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي يصير إليه ولو عن بعد، بأن يدل عليه بطريق من طرق الدلالة.
4. أن يكون الدليل الذي يصرف اللفظ عن معناها الظاهر راجحاً على ظهور هذا المعنى في اللفظ ليتحقق صرفه إلى غيره
5. أن يكون ثمة سبب موجب للتأويل، كأن يكون ظاهر النص مخالفاً لأصل عام من أصو الشريعة أو لقاعدة معلومة في الدين بالضرورة، أو لنص آخر أقوى منه دلالة.

(1) عبد الوهاب عبدالسلام طويلة، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ص 262 مرجع سابق.

أنواع التأويل: (1) السبكي جمع الجوامع
للتأويل نوعان هما:

أ. الصحيح: وهو الذي استوفى الشروط وهو نوعان: (2)

1. التأويل القريب: وهو ما لا يشترط له دليل قوي لقربه من الفهم،
كتأويل مكر الله للكفار برد مكرهم في نحورهم.

2. التأويل البعيد: وهو ما يشترط له دليل قوي يبرر قبوله لبعده عن
الفهم، كتأويل الشاة في حديث سائحة الغنم إذا بلغت أربعين شاة بمقدار
الشاة وقيمتها.

ب. التأويل الفاسد: وهو الذي لم تتحقق فيه الشروط والمبررات اللازمة،
كتأويل البقرة في قوله تعالى: {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة}. (3) بأنها
رجل يقرر عن أسرار العلوم أي يشقها ويسبر أغوارها.
استعمال التأويل:

للتأويل عدة استعمالات ولكن أهمها:

1. استعمال التأويل في الإنشاء في تنفيذ الأوامر والنواهي (ومن ذلك قول
السيدة عائشة رضي الله عنها: كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يكثر أن
يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم، ربنا وبحمدك اللهم أغفر لي" يتأول
القرآن تعني قوله تعالى { فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا } (4).

(1) موقع www.arab_ency.com 2012/7/26

(2) الموقع السابق

(3) سورة البقرة الآية 171

(4) سورة النصر، الآية 3.

ومن هنا قال السلف: أن السنة هي تأويل الأمر والنهي.
2. استعمل التأويل في الخبر: وهو نفس الحقيقة المخبر عنها وهذا يشمل إخبار الله عن أمور الغيب كالقيامة وأحوالها، ومن هذا الباب الكلام في صفات الله عز وجل، فهذا النوع لا يعلم حقيقته كيفاً وقدرأ إلا الله عز وجل⁽¹⁾.

(1) ابن العربي، قانون التأويل، ص243.

المبحث الثاني

مسميات التأويل وتمثلاته عند النحاة⁽¹⁾

يستخدم النحاة لتحقيق مآربهم التأويلية مسميات مختلفة للتأويل نذكر منها:

1. التقدير:

وهو إعادة محذوف في الجملة تستقيم بوجوده مثل ناصب المنادى عند البصريين وناصب المفعول به في التحذير والاعراض وتقدير أن المضمره عند البصريين بعد لام التعليل وبعد كي وحتى وبعد واو المعية وفاء السببية البصريين يقولون هذه الحروف لا تنصب بنفسها المضارع وإنما تنصبه بأن المضمره على خلاف الكوفيين.

2. التقديم:

يقول المتأولون ممن منع كون التمييز جمعا في تأويل الآية {وقطعناهم إثنى عشرة أسباطا أمما} وقطعناهم أسباطا أمما اثنتى عشرة.

3. الاعتراض:

وذلك فى قوله تعالى: {إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم}⁽²⁾ يقول المتأولون ممن لا يجيز أن يعطف على الإسم {وأقرضوا الله قرضا حسنا} جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب.

(1) arab_ency.co26.7.2012.www

(2) سورة الحديد / الآية (18)

4. الزيادة كما في بيت الشاهد:

إذا النعجة العجفاء كانت ** فأيان ما تعدل بها الريح تعدل
لا داعى للفقرة الثانية لأن الأولى تؤدي المعنى.

5. الحمل على المعنى:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ** قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً
بما أن القميص والجبة لا يطبخان فالتأولون يقولون) هو طلب محمول
على المعنى وهي ما يسمى بالمشاكله فى علم البلاغة).

6. التوهم وهو كما في بيت الشاهد:

أجدك لن ترى بثعلبيات ** ولا يبدا ناجية دمولا

ولا مدرك والليل طفل ** ببعض نواشغ الوادى حمولا

يقول المتأولون) إنما توهم أنه قال: أجدك لست رائياً، ثم توهم أنه أتى
بالباء فى خبرها (لست برائى) وعطف بالخفض فى قوله "ولا مدارك".
ومن مسميات التأويل وتمثلاته ونماذجه المأثورة عن بعض الصحابة
والتابعين كابن عباس وغيره، وهي تأويلات فى التفسير تدرج تحت
التأويل النحوي ولأنها واردة فى تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي
وهو نحوي لا يشق له غبار تلك النماذج منها ما يلي:

1. جاء فى البحر المحيط: "إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك... الخ" (1)

قول أبى حيان: "قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ماتحمل إثم قتلى
وإثمك الذى كان منك قبل قتلى، فحذف المضاف وهذا قول عامة
المفسرين" (2) وهذه إشارة صريحة لمسألة من مسائل التأويل وهي
(حذف المضاف)

(1) سورة المائدة، الآية 29

(2) أبو حيان، البحر المحيط، ج 3، ص 463، مرجع سابق

2. في قوله تعالى: "... إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت" (1) قال أبو حيان: "قال ابن عباس في الكلام المحذوف تقديره: فأصابكم مصيبة الموت وقد استشهدتموها بالإيضاء" (2) هنا أيضا حذفت جملة كاملة وهي الجملة الحالية.
3. وفي قوله تعالى: "... يا جبال أوبي معه والطير" (3) ذهب أبو عمرو إلى أن (والطير) منصوب بفعل مضمر أى وسخر له الطير وهو قول ابن عباس كما يفهم من قوله: "يا جبال" وقلنا: يا جبال أوبي معه: سبحي مع داؤود والطير: وسخرنا له الطير "فيكون قد أضمر فعل القول والفعل العامل في الطير" (4).
4. وفي قوله تعالى: "سبح اسم ربك الأعلى" (5) قال أبو حيان "قال ابن عباس: صل باسم ربك الأعلى، كما تقول "ابدأ باسم ربك الأعلى" (6) وهنا حذف حر الجر.
5. وفي قوله تعالى "وأذكر اسم ربك وتبئله إليه تبتئلا، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا" (7).

النتائج والتوصيات:

(1) سورة المائدة، الآية 106

(2) أبو حيان، البحر المحيط، ص، 43

(3) سورة سبأ، الآية 10

(4) أبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الشهاب، بيروت، ط 1، 1982، ص 359

(5) سورة الأعلى، الآية 1

(6) أبو حيان، البحر المحيط، ج 8، ص 458

(7) سورة المزمل، الآيتان 8-9

لعل أبرز النتائج التي خرج بها هذا البحث هي:

1. أن التأويل في اللغة العربية قضية لا يستهان بها.
2. أن التأويل يبحث في ترتيب الجملة وقواعدها ووظيفتها خاصة في إعراب الجملة.
3. أن التأويل في النحو إما أن يكون بالحذف وإما أن يكون بالاستتار والتقدير.
4. يعد التأويل ذا صلة وثيقة بالأصول لإرتباطه بالقياس خاصة في العلة والحكم ولأنه وسيلة من وسائل تعديد القواعد بإعتبار الأصول قواعد منهجية لضبط البحث النحوي من الاندلاق في الوهم والآراء الشخصية ولأنه يستخدم بكثرة في تعديد القواعد وتفسيرها وتقنينها لذلك يعتبر جزءاً من أصول النحو.
5. استخدم النحاة التأويل وسيلة من وسائل تجلية الغموض في بعض التراكيب التي تخالف القاعدة كما هو الحال في المصدر المؤول لأن النحاة جعلوا من خصائص الاسم أن يسند وأن يسند إليه وأنه يأتي مبتدأ وخبراً وفاعلاً ونائب فاعل فإذا وجدوا أن هذه القاعدة قد اصطدمت بتراكيب من نحو "أن تصوموا خير لكم" و"سرني أن تتجح" وفي كل من الآية والمثال وقع الفعل المضارع المنصوب بأن في محل رفع مبتدأ هذا في الآية أما المثال فوقع في محل رفع لفاعل فقالوا هذا مصدر مؤول وتفسيره برده إلى المصدر الصريح "صيامكم خير لكم" و"سرني نجاحك" وبهذا ساق لهم أن يعربوا المصدر المؤول في الآية مبتدأ والمصدر المؤول في المثال فاعلاً.
6. كان التأويل في النحو والصرف وسيلة نافعة في توجيه الإعراب إذ إن النحاة لما قالوا العامل والمعمول والأثر كان الأثر هو حركات الإعراب الضم والفتحة والكسرة. فالضمة علامة الرفع والفتحة علامة النصب والكسرة علامة الجر. فعندما تُرد ظواهر من الأسماء والجمل لا تظهر فيها حركات الإعراب على الآخر لجأ النحاة إلى تقديره مثلما هو الحال في الأسماء المقصورة، والجمل التي لها محل من الإعراب، والأسماء المبنية.

التوصيات:

دراسة التأويل في النحو لا ينحصر في ورقات فيمكن أن يسלט الباحثون الضوء على هذا الموضوع بصورة أكبر في تطبيقاته في النصوص.

فهرس المراجع:

1. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج 1.
2. ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري، قانون التأويل، تح محمد السليمانى، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط 1، 1986.
3. أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن، م 1، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ن 2001، ط 1، ج 1.
4. أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، البرهان في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، ن 1997، ج 1.
5. أبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الشهاب، بيروت، ط 1، .
6. أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق جمل ثابت وآخرون، السيرة النبوية، م 1، دار الحديث، القاهرة، ط 2، 1999.
7. الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 2000، ج 1.
8. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ن 2003، ج 1.
9. الزبيدي، تاج العروس، ج 7.
10. الزمخشري، الكشاف، تحقيق صلاح شلهوب،، دار أسامة، عمان الأردن، 2004.
11. البكري الأندلسي / 8. معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945، ج 1.
12. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ط 2، ج 2.
13. عبد الوهاب عبد السلام طويلة، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ط 2.
14. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 1.
15. محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1935.
16. محمد حسين أبو الفتوح، معجم ألفاظ الحديث الشريف في صحيح البخاري، مكتبة لبنان، بيروت، 1993، المجلد الأول.
17. محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الحديث، القاهرة، 1987.
18. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، ن 2007.